معاينة جديدة لموقع القهرة بنوميديا الشرقية
معطيات جديدة

دة. سعاد سليماني*

الملخص:

لم يختلف الباحثون حول الفترة التي يرجع إليها المركز العمراني القديم المعرف "بالقهرة" فحسب، بل اختلفوا حتى في تحديد محيطها و معرفة وظائف معالمها. فالتقرير الوحيد الذي تم الاعتماد عليه هو ذلك التقرير الذي تركه القائد العسكري "لاسال"، لكنه رغم وجود مخطط للموقع ورسومات لبعض القطع الأثرية ،فهو يبقى غير كاف في غياب الشرح الخاص بالموقع، ورغم محاولة بعض الدارسين الغربيين استقراءه من أجل إضافة إجابات لعديد من الإشكاليات إلا أنهم وفي غياب المعطيات الميدانية لم يأتوا بالجديد، بل منهم من أعطى قراءات لا تتماشى مع ما يوجد في الميدان .

هذا ما لاحظناه من خلال مقارنة الدراسات السابقة للموقع وما خلصنا إليه بعد المعاينة الميدانية الجديدة التي جعلتنا نقف في العديد من المرات أثناء ترددنا على الموقع على معطيات جديدة، والتي حاولنا أن نضيفها إلى الدراسات السابقة حتى نزيل بعض الغموض عن هذا الموقع البالغ الأهمية. ورغم ذلك تبقى الحفريات هي الحل الوحيد التي تمكننا من القراءات الموضوعية لهذا الموقع قبل أن تضمحل وتندثر آثاره.

Abstract

Researchers around the period due to the old urban center "Elgahrh" are not only different, but they differed even to identify their surroundings and know the functions of landmarks. The only report, which was relied upon is that report, which left the military commander

* - أستاذة باحثة في قسم التاريخ والآثار جامعة قسنطينة 2، الجزائر.

"LaSalle", but despite the presence of the scheme for the site and drawings of some of the artifacts, it remains insufficient in the absence of the site's explanation, and despite attempts by some researchers' induction in order to add the answers to many of the problems in the absence of field dat did not come with new, some of whom gave readings,but there are not in line with what is in the field.

This is what we have observed by comparing the previous studies of the site and what we concluded it after the new field preview that made us stand in as many times during the reluctance on the site As new data, which we have tried to add it to previous studies even guest some ambiguity about this site very important.

Although it remains the excavation is the only solution that enables us to objectively readings for this site before they decay and disappear effects.

مقدمة:

تقع خربة القهرة[1] ببلدية محمد بوضياف(واد الشعير سابقا) على الطريق الرابط بين منطقة بوملال وواد الشعير، وهي على بعد 140 كلم جنوب ولاية المسيلة و80 كلم جنوب شرق بلدية بوسعادة، و4 كلم غرب تحصين بئر سدوري المسمى"أوزوم "[2] Ausum ببلدية الشعيبة التابعة حاليا لإقليم بسكرة، فنجدها تحديدا عند النقطة 31.33'52°34" شمالا و 00.6'26°4" شرقا (الخريطة 01).

تسمى محليا " قارة " (جمع قور) وتُلفظ محليا "قهرة" بفتح الفاف، وتعني الحجارة[3]، إذن قد استمدت اسمها من القمم الجبلية المجاورة لها والتي يطلق على أعلى قمتها "قهرة القليع" [4] .

أولا: تاريخ الموقع

اختلف الباحثون حول الفترة التي يرجع إليها هذا المركز العمراني القديم، غير أننا نعتبرها من المراكز العمرانية القديمة التي ترجع إلى الفترة الليبية[5] مثلما جاء به الجيوغرافي **بطليموس**[6]، وربما إلى مراحل مبكرة حتى؛ لأن من جهة نجد أبحاث "بواتو"

بمنطقة "بن سرور" جنوب شرق بوسعادة، التي سمحت الكشف عن محطات للفن الصخري وتمثلت أساسا في نقوش "العرايس" ورسومات وادي الشعير، وهما من بين محطات كثيرة تنتظر الكشف والاهتمام[7]، ومن جهة أخرى المنشآت الجنائزية [8] العديدة المنتشرة بأعالى القمم المحيطة بها، هذه التي اعتبرها "جزال" مراكز أمامية للمراقبة[9] .

اعتبرت القهرة قديما من المواقع الاستراتجية (الخريطة 01 و02)، ولعل هذا ما ساق "براديز " أن يجعل منها تلك الحامية العسكرية المدرجة في لوحة "بوتنجر" table de Peutinger[10]. وهي من المدن العامرة منذ بداية القرن الثالث الميلادي خلال حكم العائلة السفيرية[11]، وكان هذا بعد فترة من تأسيس قلعة "ديميدي" (مسعد حاليا) في سنة 198، حتى تكون محطة أساسية على طريق مسعد؛ فلعبت بذلك دور القاعدة الممونة [12] بحكمها مركزا زراعيا هاما آنذاك وقد تشهد آثارها على ذلك؛ إذ عُثر على مخازن هامة بداخلها بقايا من الشعير المحروق[13].

1-الدراسات السابقة للموقع:

عرف موقع القهرة على خلاف العديد من مواقع الحضنة دراسات سابقة ابتداء من مطلع القرن 19م، وخلفت لنا هذه الأخيرة تقارير في غاية الأهمية؛ نذكر منها تقارير الباحثين "روني كانيا"Cagnat Rene [4] و" رُبو" Reboud [15] ثم "لاسال" Lassale الذي أجرى حفريات بالموقع، وترك تقريرا هاما موجود حاليا على مستوى مصلحة الأرشيف "بحصن 23" بالجزائر العاصمة، وتليهم كذالك دراسة "كاركوبينو" الذي تطرق إلى موقعها لما تناول قضية الليمس النوميدي، حتى أنه عاين بنفسه الموقع وترك هو الآخر وصفا ومخططا لما تبقى من أثارها، كما لا ننسى خاصة أعمال "براديز" الذي وقف في العديد من المرات حول القهرة، وترك هو الآخر صورتين جويتين هامتين للموقع غير أنه لم **ينشرهما من قبل**[16]، وحاول مؤخرا "لابورت"

استقراء تقرير و مخطط "لاسال" ونشر جزء منه سنة 2002 وحاول إعطاء خلاصة شاملة لكل هذه الدراسات[17] .

2-وصف الموقع:

حالت الوضعية الحالية المتدهورة للموقع دون إعطاء قراءة وصفية دقيقة له، وعليه استعنا بالدراسات السابقة وحاولنا تقديم وصف تحليلي، وهذا بإجراء مقارنة بين ما ذكر سابقا وما هو موجود حاليا على أرض الواقع.

تحتل القهرة هضبة بالضفة الشرقية لوادي صغير يتفرع من وادي الشعير، بلغت مساحتها – حسب تقديرات كاركوبينو – حوالي 12 هكتار (400x300) [18]، في حين تعطي خريطة "السيناتوس كونسول" لبلدية واد الشعير مساحة 14 هكتار[19] وبينت لنا المعاينة الميدانة مساحة تقدر بحوالي 30هكتار.

تتحصن المدينة من الجهة الشرقية طبيعيا بواسطة المرتفعات المجاورة التي يعلو أحدها قبورا من نوع الجثوات، اعتقد "جزال"[20] أنها بنايات دائرية تدل على وجود مراكز مراقبة، وتنتشر بالجهة الغربية منها العديد من الآثار التي قد تشكل مراكز أمامية هامة، في حين تحتوي الجهة الشمالية أكبر عدد من الأبراج المؤمنة لها، وضن البعض من الدارسين أنه قد أضيف لها سور ثاني[21]، وفي الأخير تبدو الجهة الجنوبية محصنة طبيعيا بواسطة الوادي الذي يربطها به جدار قد يكون جزء من معبر مغطى، مخصص للحصول على الماء[22] .

3-الوضعية الحالية للموقع

تنتشر أثار القهرة على مساحة أكثر من ثلاثين هكتار، وقسمناها إلى ثلاث مناطق (الصورة 01)وهي كالآتي:

المنطقة (أ): عبارة عن تحصين مربع موجود بالجهة الجنوبية من الموقع

مساحته حوالي 1 هكتار، يحتوي على ساحة واسعة (الصورة 02) تظهر على جوانبها بقايا قواعد أعمدة مع العديد من الحجارة الدبشية (الصورة 03).وكذا البقايا الفخارية والآجور

المنطقة (ب): وهي مجموعة من التلال تتمركز بالجهتين الشمالية الشرقية و الشمالية الغربية للمنطقة (أ) تتراوح مساحاتها بين (17/20) 340م^2 و (30/30)900 م^2 ويفصل بينها فضاءات غر مبنية، ولم نتمكن من تتبع أثار الاتصال في ما بينها، كما أننا لم نجد أثر الشوارع الواصلة بينها(المخطط 01)، وحالت أكوام الحجارة المحيطة بالمنطقة دون رؤية أساسات السور المحيط بها، بما في ذلك الأبراج التي أشار إليها "لاسال" في مخططهاحتوت المنطقة (ب) على بقايا هامة نذكر منها ما يلي:

خزان للماء: نجده مباشرة خارج المنطقة (أ) عند الزاوية الشمالية الشرقية (الصورة 05)، يظهر سقفه على سطح الأرض، ويبدو أنه على شكل مقبب، مبني بالحجارة الدبشية والملاط الجيري الممزوج بكسور الفخار.

ردم دائري: نجد على بعد قرابة 60م من الخزان بقايا ردم شكله دائري ومتوسط قطره 04م (الصورة 01 : 1د) ، ونجهل تماما وظيفته.

بقايا أساسات : نلاحظ على الهضبات الستة المنتشرة بالموقع بقايا أساسات مباني مستطيلة و مربعة الشكل، تظهر فيها الدعامات المشكلة للجدران الخارجية بشكل واضح، وبنيت كلها بحجارة دبشية صغيرة و كبيرة الحجم (الصورة 01 : 1 ت1إلى ت6)، وتذكرنا هذه الوضعية بما رأيناه في موقع "زابي جوستنيان[23] وما يحيطها من هضبات، والتي قد كانت مراكز أمامية دورها تأمين المدينة قبل أن يصبح لها وظائف أخرى سواء مقرات للسكن أو ورشات حرفية ..إلخ؟

المنطقة (ج): وهي الربوة الموجودة بالجهة الجنوبية الشرقية المقابلة للموقع،

تحوي فضاء مستطيلا تبلغ مساحته حوالي (55/32) 0.17 هكتار، وهذا الذي اعتبره بعض الباحثين معبدا للمدينة [24]، في حين يرى البعض الآخر أنه يحتل موقعا مهيمنا، ومهمته دون شك تمثلت في حماية المدينة[25] .

4- موقع القهرة من خلال قراءات مخطط "لاسال"

رغم أهمية هذا المخطط، فهو غير واضح ويشوبه بعض الاختلافات التي خلُصنا إليها بعد معاينة الموقع لمرات عديدة. تتجلى لنا هذه المفارقات في القراءات السابقة لهذا المخطط، وسنوضح ذلك فيما يلي:

يعطينا "كانيا"[26] من خلال تقرير الباحث "لاسال" وصفا جغرافيا للمدينة ويضيف بعد ذلك مساحة مقدرة بحوالي17 هكتار، لكن امتداد الآثار بالموقع الحالي يحتل مساحة قدرناها بحوالي 30 هكتار مثلما ذكرناه أعلاه، ويشير"كانيا" إلى أن شكل الموقع شبه مستطيل ومبني بحجارة عادية، يتجه طوله المقدر بـ480م من الشرق إلى الغرب ويتجه عرضه المقدر بـ 360م من الشمال إلى الجنوب، كما يتخلل السور أبراج جاءت أحيانا غائرة وأحيانا أخرى بارزة، ثم يذكر سور ثاني وهو بنفس سمك السور الأول، يغطي الواجهتين الشمالية والشرقية على شكل قوس تمثل نهايتاه برج الجهة الجنوبية الشرقية وإحدى البوابات الثانوية للمدينة، ويضيف أنه في بعض المواضع من السور الأول يمكن ملاحظة أجزاء خندق نصف دائري قد تعود لبقايا تحصين.

أما "روبود"[27] الذي نشر تقريره قبل "كانيا"، فقد ذكر وجود آثار لخطوط متقاطعة في الداخل[28] ، ثم أشار إلى بقايا مبنى مستطيل بالجهة الغربية للحصن بالقرب من النهر، ورجح أنه برج صغير[29] .

لا تبين الوضعية الحالية للموقع شيئا من كل ما سبق ذكره على أرض الواقع، وإنما الذي يظهر هو برج بالجهة الجنوبية الشرقية للموقع، وهذا ما تؤكده الصورة الجوية

الغير منشورة الملتقطة من طرف "براديز"، ويمكننا رؤيته بوضوح من خلال الصورة الساتليتية المستخرجة من محرك البحث "قوقل إيرث" (الصورة 01) (الصورة 04) و(المخطط 01).

البقايا المعمارية : ذكر "ربود" أن الحفريات كشفت عن بقايا معمارية هامة وكذلك عن عناصر معمارية مختلفة كأعمدة وتيجان وصناديق و قواعد..... الخ[30] بالإضافة إلى العديد من الحجارة المبعثرة عشوائيا على الأرض، وعامة تكون عليها آثار لرماد أسود،دليل على حريق ما في ما مضى، كما احتوت بعض الحجارة نتوءات حادة قد تعود لمباني ذات هندسة متميزة[31] ومجهولة وظائفها. وفي موضع آخر أشار"ربود" إلى وجود حصن مربع على الضفة المقابلة للوادي، يبلغ طول كل ضلع من أضلاعه حوالي 80م – وربما هذا المبنى هو الذي يظهر بوضوح على الصورة الجوية الغير منشورة أو الصورة الساتلتية (منطقة ج). كما ذكر ذات المصدر أن بداخله العديد من المنازل والمتاجر الموزعة بشكل غير منتظم بطول يتراوح من 5إلى 6م، وتظهر جدران قليلة السمك وسط تلك الأطلال، وأعطى لنا "لاسال" نموذجا منها، أطلق عليه اسم "منزل الخزاف" [32] (المخطط 02)، قد يدلنا هذا على وجود ورشات لصناعة الفخار بالمنطقة.

ومن الجهة الشرقية للموقع يضيف "ربود"، وجود ربوة بارتفاع يتراوح بين 10 و15م، احتوت معبد المدينة؛ ويصف أن جوانبها المنحدرة تعج بأحجار خشنة وأجزاء من الأعمدة والحجارة المصقولة، ويبدو أن سطحها استُغل في فترات قريبة كمقبرة لأنه يوجد فيها العظام التي برزت إلى السطح من جراء استخراج السكان لمادة الملح الصخري بذلك المكان. وبينت التنقيبات التي أجريت على المنحدرات بقايا أعمدة مكسورة و بقايا لأقواس وأساسات قوية لمبني ضخم، وعند السفح ربما تدل النتوءات

التي لاحظها الباحث على أنها درجات سلم استُعملت للصعود إلى **المعبد** المشيد في أعلى قمة هذه الربوة، وعند هذا المكان تم رفع جزء من كتابة بحروف طويلة حملت عبارة NVMINI [33].

- **المنشآت المائية[34]**

إضافة إلى وجود العديد من السدود المبنية بالحجارة، التي استغلت لسقاية السهل الموجود على الضفة اليسرى لوادي الشعير[35]، فإن هناك مجموعة من السدود الطبيعية التي تشكلت من خلال التضاريس التي تميز منطقة **القهرة**، وتتجلى بشكل واضح على ضفاف وادي الشعير المرتفعة والمنحدرة بشكل حاد[36](الصورة رقم 06)، وعليه فقد عرف السهل الواقع شمال وغرب خربة القهرة خلال فترة الرخاء، ازدهارا في الزراعة وأضحت بذلك مركزا زراعيا هاما[37]، وهنا نشير إلى التجزئة الترابية المخصصة للزراعة والتي كانت تظهر في الجهة الشمالية للموقع، وهذا ما توضحه مرة أخرى الصورة الجوية الثانية التي وجدناها في أرشيف "برادیز" (الصورة 09).

من جهة أخرى تظهر آثار قناة مياه قادمة من "عين ميزرور" الواقعة على بعد عشرة 10 كلم من الشمال الغربي للموقع[38] وهي التي كانت تزود المدينة بالماء الشروب (لصورة 07).

ثانيا– محتويات الموقع

وجد بالموقع العديد من العناصر المعمارية مثل التيجان والأعمدة وحجارة ضخمة مصقولة بشكل جيد، ولا حظنا انتشار أجزاء من مطاحن الحبوب سوء اليدوية أو الكبيرة الحجم.

من أهم ما اكتشف بالموقع، نذكر نصب جنائزي يحمل مشهد مُثل من قبل على أنصاب موقع موقع "القنطرة " ببسكرة، وهو يرمز إلى معتقد محلي قديم ليبي وبوني في

نفس الوقت، استنبط من عبادة الإله "بعل حمون"[39]، إذ يظهر فيه تمثيل لحَمل مرفوق برجل أو امرأة يحملان كوز صنوبر[40].

يُشبه هذا النصب مجموعة الأنصاب التي وجدت بضواحي بوسعادة، فقط أن نصب القهرة يتميز بوجود كتابة منقوشة في الأسفل عند مستوى الناتئ، تتكون من خمسة أسطر، بينت أن شاهد القبر هذا يخص الجندي "يوليوس ماكسيموس"(Iulius Maximus) التي تعود إلى فترة الإمبراطور كركلا[41]. وصُنف هذا النصب من نوع القبور المعروفة بالصناديق النصف أسطوانية (Cupulae) ذات الأصل البوني حسب البعض، ووجدت بكثرة في كل من موريطانيا ومنطقة قسنطينة وشمال الأوراس خاصة بموقع "لمباز"، وأيضا حول مناطق تبسة[42] .

- **الكتابات الأثرية:**

أعطى هذا الموقع حوالي ثلاثين نصا، وتبقى نقيشة إنجاز هذه المنشأة مفقودة. تمثلت أقدم كتابة في قبرية جندي من فيلق أغسطس الثالث ترجع إلى فترة "كركلا"، وهناك نقيشة أخرى مهداة إلى الإله "مترا" تعود إلى فترة قريبة منها، مهداة من طرف "سونتوريون" من الفيلق الثالث مرفوق بديكوريون من كتيبة "بانونيا" aile des Panoniens[43]، وأخرى مهداة من طرف الليقاتوس "لوكيوس أبرونيوس التقي" إلى إلهة الثروة [44]، وأخيرا وجدت العديد من الشواهد العسكرية وهي عبارة عن قبريات لجنود من الكتيبة الثالثة تعود لفترة "كركالا"[45] .

ثالثا– تصنيفات موقع القهرة

من جهة صنف بعض الدارسين القهرة كمدينة محصنة[46]، لأن طبيعة ونوعية الكتابات المكتشفة بها تشير إلى استغلال عسكري[47]، ولأن موقعها جعلها تحتل مكانة عسكرية هامة؛ فهي على الطريق الرابط بين الحضنة والصحراء عبر منخفض وادي

الشعير، بين مرتفعات أولاد نايل ومرتفعات الزاب[48] وبهذا كانت عبارة عن منطقة عسكرية حدودية. وكانت عامرة في بداية القرن الثالث وحتى في نهاية الرابع، إذ لعبت دور المعسكر الأمامي وكانت كنقطة دعم للفرق المشنة والمتنقلة[49].

إنّ تضارب المعطيات الأدبية حول موقع القهرة واختلاف الدارسين في تقدير الأبعاد الخاصة ببعض المباني بها كالمعسكر المسمى (1) في مخطط "لاسال" من جهة وعدم وضوح جملة المعطيات الميدانية التي وقفنا عليها من جهة أخرى، حال دون إعطاء قراءة دقيقة وواضحة؛ غير أن كل هذا يدفعنا إلى التساؤل في ما إذا كانت المدينة قد بنيت على أسس محلية نوميدية منذ القدم وهذا على شكل تجمعات متفرقة ومتباعدة عن بعضها البعض مثلما هو معروف في الريف عندنا، أم لعلها استمدت مخططها هذا من الطراز الشرقي؟ وهذا في حالة ما إذا أرجعنا بناءها إلى الجيوش التدمرية التي رابطت بها في عهد الإمبراطور "غورديان الثالث" (238-234) واستقرت هناك؟

يرى البعض الآخر أنها من المدن التي توسعت على حساب نواتها الأساسية المتمثلة في المعسكر؛ وهذا بسبب تلك التجمعات الموجودة خارج المعسكر، فقد تعد مستقرات سكنية للجيوش وفضاءات وظيفية مختلفة؛ فهؤلاء كما ذكرت الباحثة "فنترس" Fentress، يحتاجون إلى إمدادات من أجل البقاء، ومن أجل ذلك كانوا يعملون في الأرض كمزارعين، وكانت لديهم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، كما مارسوا التجارة وشيدوا منازل خاصة بهم، وأنجزوا الجسور ومدوا القنوات لري أراضيهم[50]، ويعطي في هذا المجال الباحث "لوبوهيك" Lebohec أمثلة مشابهة في كل من "بونجم" بليبيا و هنشيربسرياني والقصبات والقنطرة ومسعد[51].

ومن هنا يمكننا القول أن هذه المدينة لم تحط كليا بسور، فهي قد توسعت في فترات الاستقرار خارج سور النواة الأول المتمثلة في المعسكر الموجود بالمنطقة(أ)، هذا الذي قد استقر به الفيلق الثالث "أغسطس" قبل أن يُرَحل سنة 238، أو حتى من طرف الجيش التدمري بعده؟ لكن من جهة أخرى يطرح الحصن الموجود بالضفة المقابلة لمجرى الوادي إشكالا آخر يدفعنا لبعض التساؤلات منها: ما هي الفترة التي بني فيها هذا الحصن (المخطط 03)؟ هل هذا هو الذي قصدته الباحثة" فنترس"[52]، بنسبه إلى الفترة المتأخرة لما ذكرت الأبعاد الخاصة بالحصن الصغير (30/60) وهي لا تتوافق مع أبعاد المعسكر، لأنها تطرقت إلى الأبراج المربعة الشكل التي جاءت عند زواياه الأربع؟ هل هُجرت المدينة في تلك الفترة أو تقلصت مساحتها لتنحصر في هذا الحصن؟ إذ بيّنت المعطيات الميدانية بقايا استقرار على هذه الضفة، لما وجدناه من فخار وبقايا رحى يدوية وبقايا آجر وقرميد وحتى جزء من ملاط أرضية وضع فسيفساء، ولا تزال آثار بنية تحتية ظاهرة، وتحوي على حوافها آثار الحرق قد يكون المخزن الذي ذكر "لاسال" أن به الشعير المحروق[53].

ومن جهة أخرى كانت القهرة مثل سدوري ودوسن وغيرها، تقع ضمن سلسلة التحصينات التي تؤمن وتسهر على حماية المناطق التي استوطنها أبناء قدماء الجيش ومقربيهم[54] ولعلها تصنف ضمن المدن المحصنة [55] .

لقد تطرقنا فيما سبق للقهرة كمدينة محصنة وذكرنا أن المعسكر الموجود بالمنطقة (أ) والذي قدرت مساحته بـ01 هكتار، قد أُرجع على ضوء النقيشة التي اكتشفها الباحث "كاركوبينو" إلى عهد غورديان الثالث[56](238-244)، ونلاحظ من خلال الصورة الجوية لـ"براديز" أن فضاءه الداخلي غير منتظم، كما لا نجد فناء تحيط

به غرف المعسكر، بل يبدو من مخطط "لاسال" أنها عبارة عن قرية، مبانيها وشوارعها غير منتظمة.

ونشير مرة أخرى إلى ذلك المبنى الموجود بالضفة المقابلة لمجرى الوادي بالمنطقة (ج) الذي بلغت مساحته حوالي 0.17هكتار، فهو يطرح إشكالا آخر: فهل هو معبد للمدينة[57] أم أنه تحصن آخر يؤمن ويحمي المدينة[58]؟ وفي هذه الحالة ما هي الفترة التي بني فيها؟ هل هذا هو الذي قصدته الباحثة "إليزابيت فنترس"، بإرجاعه إلى الفترة المتأخرة لأنها ذكرت الأبعاد الخاصة بالتحصن الصغير (30/60) وهي لا تتوافق مع أبعاد التحصين الموجود بالمنطقة (أ)، كما أنها تطرقت إلى الأبراج المربعة الشكل التي جاءت عند زواياه الأربعة؟ (المخطط 03)

لقد بينت لنا المعاينة الميدانية نوعا من التقارب مع ما جاء في مخطط "لاسال" و وجود بقايا أساسات أبرج، فنرجح أن يكون هذا المبنى عبارة عن حصن آخر، لكن هل هجرت المدينة في تلك الفترة أو تقلصت مساحتها لتنحصر في هذا التحصين؟ أو أن المدينة توسعت حول ذلك التحصين،إذ بينت المعطيات الميدانية بقايا استقرار على هذه الضفة، فوجدنا بها العديد من بقايا المطاحن اليدوية وكسور الفخار الذي يرجع للفترة المتأخرة (الصورة رقم 08) و الآجر والقرميد وحتى جزء من ملاط أرضية خاصة بوضع الفسيفساء، كما لا تزال آثار المبنى مطمورة تحت الردم، فيظهر من خلال حفرة أحدثها بعض المتطفلين عن المواقع الأثرية، دعامات حجرية يستند عليها جدار(الصورة رقم 09) وتحوي على حوافها آثار الحرق وبقايا كسور الفخار. ونلاحظ حتى من خلال مخطط "لاسال" أن أبراج زواياه مربعة الشكل، تشبه أبراج حصن مدوروش الذي يرجع إلى الفترة البزنطية[59].

الخلاصـــة:

لم يختلف الباحثون حول الفترة التي يرجع إليها هذا المركز العمراني الهام فحسب، بل اختلفوا حتى في تحديد محيطه ومعرفة وظائف معالمه. فالتقرير الوحيد الذي تم الاعتماد عليه هو ذلك الذي تركه القائد العسكري "لاسال"، لكن رغم وجود مخطط للموقع ورسومات لبعض القطع الأثرية المكتشفة بالموقع، فهو يبقى غير كاف في غياب الشرح الخاص لمعالم الموقع، ورغم محاولة بعض الدارسين الغربيين استقراءه من أجل إضافة إجابات لعديد من الإشكاليات إلا أنهم و في غياب المعطيات الميدانية لم يأتوا بالجديد، بل منهم من أعطى قراءات لا تتماشى مع ما يوجد في الميدان .

هذا ما لاحظناه من خلال مقارنة الدراسات السابقة للموقع وما خلصنا إليه بعد المعاينة الميدانية الجديدة التي جعلتنا نقف في العديد من المرات أثناء ترددنا على الموقع على معطيات جديدة، والتي حاولنا أن نضيفها إلى الدراسات السابقة حتى نزيل بعض الغموض عن هذا الموقع البالغ الأهمية.

وعلى ضوء ما ذُكر، فقد نعتبر أن "القهرة" من المدن النوميدية الهامة التي شهدت استيطانا بشريا مبكرا قد يرجع إلى فجر التاريخ، إذ يشهد على ذلك العديد من الجثوات التي تنتشر على المرتفعات المحيطة بها، إضافة إلى توفر كل العناصر الملائمة من ماء وأرض خصبة ووفرة مادة البناء المتمثلة في الحجارة، فهي مدينة ذات طابع محلي في بدايتها؛ وربما شهدت تطورات عديدة بمجيء الرومان وأضحت مركز تموين للمراكز الدفاعية المحيطة بها وكحامية عسكرية للفيلق الثالث أغسطس في فترة حكم الإمبراطورين "سبتيم سيفر"(193-211) ثم "كراكلا" (211- 217) "وبعدهم للتدمريين في عهد الإمبراطور "غورديان الثالث" (238-244)[60] ثم استمر تواجدها إلى

غاية الفترات المتأخرة وحتي بعد الفتوحات الإسلامية ولعل الفخار ذو البريق المعدني والأخضر لونه والذي وجدناه على السطح لدليل على ذلك .

وقد نستبعد أساسا وجود سور ثاني يحيط بالمدينة، مع العلم أن أثار السور الأول ليست ظاهرة على السطح، على عكس سور التحصين الكبير الموجود في الجزء الجنوبي للموقع. مع ذلك تبقى الحفريات هي الحل الوحيد الذي يمكننا من القراءات الموضوعية والصحيحة لهذا الموقع قبل أن تضمحل وتندثر آثاره.

الهوامش

1. [1] GSELL (St) ,Atlas archéologique d l'Algérie ,Alger 1911.Feuille47 ,N°1 (AAA / 47 /1)
2. AAA/48/1
3. CAGNAT(R), Ruines de kherbet EL-GARA, dans, B.C.T.H, 1889, p393 ; REBOUD (J), Notice sur les ruines romaines de l'oued chair, dans, Rev.Afr, 1865, p142, note1
4. Reboud , 1865, p142
5. شنيتي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني؛بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1999،ج1 ،.ص 134
6. AAA /47/1
7. نادية بحرة ،مواقع ما قبل التاريخ في ولاية المسيلة، الملتقى الوطني الأول حول "تاريخ و أعلام المسيلة" بدار الثقافة "قنفوذ الحملاوي" من 27 إلى 29 أفريل سنة 2009 (غير منشور).
8. تمثلت هذه القبور في العديد من الجثوات المنتشرة بالجهة الشمالية الشرقية للموقع .
9. AAA /47/1
10. BARADEZ.(M.G), Fossatum Africae ,recherches aériennes sur l'organisation des confins sahariennesn à l'epoque romaine. Art et Metiers graphiques ed., Paris,1949,p348 ;LAPORTE, J.-P (2009) p31Urbanisme et urbanisation en numidie militaire. Actes du colloque organise les 7 et 8 mars 2008 par l'univ. Jean Moulin Lyon 3, Paris, 2009, p 31
11. CARCOPINO, J.,). Sur l'extension de la domination romaine dans le Sahara de Numidie, RA,1924 ; p319,note1

12. CARCOPINO, J., Le Limes de Numidie et sa garde Syrienne.Syria, 1925. Tome 6 fascicule 2,p 56 ;
13. Ibid,p55,note2
14. CAGNAT,R.,BCTH,1893,p394-5
15. REBOUD, , 1865,p142-4
16. Fond Baradez , ANOM
17. LAPORTE, J.-P. (2002). Trois sites militaires sévériens en Algérie moyenne:Grimidi,Tarmount,El Gahra." Africa Romana Tome 1,2002 .p ;458-477
18. CARCOPINO, J RA,1924 ,p318,note3
19. معلومات من السيد بن ضيف، معلم متقاعد ببرج الأغا بواد الشعير وهذا على ضوء وثيقة من السناتوس كونسول Senatus Consul
20. AAA /47/1
21. لقد تبين لنا من المعاينة الميدانية عدم وجود سور ثاني، و لاحظ ذلك أيضا على الصورة الجوية الغير منشورة التي وجدناها بأرشيف "براديز"
22. AAA/47/1
23. سعاد سليماني،"الملف الأثري لموقع زابي "، مجلة الأثار، العدد 14،الجزائر 2014، ص ص 55-73 .
24. REBOUD, 1865,p144
25. DAVENET , Extrait d'un itinéraire descriptif des régions méridionales de l'Algérie ,REV afr ,II,1857,p288
26. AAA/47/1
27. REBOUD,1865,p142
28. REBOUD, 1865,p142
29. CAGNAT,R.,BCTH,1893,p394-5 ;AAA/47/1
30. AAA/47/1
31. REBOUD, 1865,p142
32. وهذا استنادا لما جاء في المخططات الموجودة بملف القهرة الذي اطلعنا عليه بمصلحة الأرشيف بحصن 23.
33. REBOUD, , 1865,p142,p143
34. سعاد سليماني ، منشآت الري سعاد سليماني، منشآت الري القديمة بمنطقة الحضنة، رسالة ماجستير–غير منشورة– في علم الأثار بإشراف الأستاذ االدكتور محمد البشير شنيتي، السنة الجامعية 2006/2005،ص109-110
35. REBOUD, ,1865,p142
36. REBOUD, Ibid

37. CAGNAT,R.,BCTH,1893,p394-5 ;AAA/47/1
38. AAA/47/1
39. REBOUD, Ibid
40. وهذا استنادا لما جاء في المخططات الموجودة بملف القهرة الذي اطلعنا عليه بمصلحة الأرشيف بحصن 23
41. REBOUD, , 1865,p142,p143
42. GSELL, St., Les monuments antiques de l'Algérie.Paris 1901, V 2,p47
43. LAPORTE, J.-P2002,,p458,note 79
44. LAPORTE, J.-P., 2002,p459
45. C.I.L.t 8 (8784, 18027, 18028),(2782 ; cf. 18018),(18026)1 ; L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs Paris 1913,p603 ;BCTH 1904 p CLXI.
46. CARCOPINO , ,R .A 1924 ,p319
47. LAPORTE(2000),p 464
48. CAGNAT,R.,BCTH,1893,p393
49. BARADEZ,1949,p139,note 4
50. FENTRESS, E. W. B. (1979). Numidia and the Roman Armey. England1979,p124-125,145 notes 1à5.
51. LE BOHEC, Y. La troisième légion August Paris 1989,p540
52. FENTRESS, E. W. B,p87
53. CARCOPINO, J., 1925, p55,note2
54. BARADEZ,Fossatum, p138
55. سليم دريسي، ص 264-265 ، ت860
56. CARCOPINO , Le Limes de Numidie et sa garde syrienne d'après des inscriptions récemment découvertes." Syria Volume 6, Numéro 1:,p33
57. REBOUD, R.Afr, t 9 , 1865,p144
58. DAVENET , Extrait d'un itinéraire descriptif des régions méridionales de l'Algérie ,REV afr ,II,1857,p288
59. DIEHL,C. L ' Afrique byzantine: histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709). Paris 1896, p155,note5
60. LE BOHEC, Y. (1989). La troisième légion August Paris,p435